

تفسير البحر المحيط

@ 165 @ النَّاسَ عَالِيَهُمْ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَا كِنَّ أَكْثَرَ . .

{ مَن فِي * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } : عام في كونهم تحت ملكه وقهره . وقال الحسن :
{ قَانِتُونَ } : قائمون بالشهادة على وحدانيته ، كما قال الشاعر : % (وفي كل شيء له
آية % .

تدل على أنه واحد .

%) .

.

وقال ابن عباس : مطيعون ، أي في تصريفه ، لا يمتنع عنه شيء يريد فعله بهم ، من حياة
وموت وصحة ومرض ، فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة . وقيل : قائمون يوم القيامة ، يوم
يقوم الناس لرب العالمين . وإذا حمل القنوت على الإخلاص ، كما قال ابن جبير ، أ على
الإقرار بالعبودية ، أو قانتون من ملك ومؤمن ، لأن كل عام مخصوص . { وَهُوَ أَهْوَنُ
عَالِيَهُ } : أي والعود أهون عليه ، وليست أهون أفعل تفصيل ، لأنه تفاوت عند □ في
النشأتين : الإبداء والإعادة ، فلذلك تأوله ابن عباس والربيع بن خيثم على أنه بمعنى هين
، وكذا هو في مصحف عبد □ . والضمير في عليه عائد على □ . وقيل : أهون للتفضيل ، وذلك
بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في المشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون من
البداء ، للاستغناء عن الروية التي كانت في البداية ؛ وهذا ، وإن كان الاثنان عنده
تعالى من اليسر في حيز واحد . وقيل : الضمير في عليه عائد على الخلق ، أي والعود أهون
على الخلق : بمعنى أسرع ، لأن البداء فيها تدرج من طور إلى طور إلى أن يصير إنساناً ،
والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات في الأطوار ، إنما يدعوه □ فيخرج ، فكأنه قال : وهو
أيسر عليه ، أي أقصر مدة وأقل انتقالاً . وقيل : المعنى وهو أهون على المخلوق ، أي يعيد
شيئاً بعد إنشائه ، فهذا عرف المخلوقين ، فكيف تنكرون أنتم الإعادة في جانب الخالق ؟

قال ابن عطية : والأظهر عندي عود الضمير على □ تعالى ، ويؤيده قوله تعالى : { وَلَهُ
الْمَثَلُ الْأَعْلَى } ، كما جاء بلفظ فيه استعادة واستشهاد بالمخلوق على الخالق ،
وتشبيهه بما يعهده الناس من أنفسهم ، خلص جانب العظمة ، بأن جعل له المثل الأعلى الذي لا
يتصل به ، فكيف ولا تمثال مع شيء ؟ انتهى . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم أخرج الصلة في
قوله : { وَهُوَ أَهْوَنُ عَالِيَهُ } ، وقدمت في قوله : { هُوَ عَالِيٌّ هَيِّنٌ } ؟ قلت

: هنالك قصد الاختصاص ، وهو تجبره ، فقليل : وهو على هين ، وإن كان مستصعباً عندك ، وإن تولد بين هرم وعافر . وأما هنا لا معنى للاختصاص ، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ؟ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى . انتهى . ومبنى كلامه على أن تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص ، وقد تكلمنا معه في ذلك ، ولم نسلمه في قوله : { إِيَّكَ نَعْبُدُ } . .

{ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } ، قيل : هو متعلق بما قبله ، قاله الزجاج ، وهو قوله : { وَهُوَ أَهْوَنُ } ؛ قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل أو يصعب . وقيل : بما بعده من قوله : { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ } . وقيل : المثل : الوصف الأرفع الأعلى الذي ليس لغيره مثله ، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما . { وَهُوَ الْعَزِيزُ } : أي القاهر لكل شيء ، الحكيم الذي أفعالى على مقتضى حكمته . وعن مجاهد : المثل الأعلى قوله : { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ، وله الوصف بالوحدانية ، ويؤيده قول : { ضَرَبَ لَكُمْ } . .

وقال ابن عباس وغيره : بين تعالى أمر الأصنام